# جبل عامل في عهد الجزار
## لمحة من حياة الجزار
بقلم : الشيخ علي الزين

— ١ —

كان احمد باشا الجزار من اصل بشناقي ، وكان فطنا حازما يتقن الاحتيال والمكر واستغلال الظروف والمناسبات لالقاح الفتن وابتزاز الاموال ، كما كان شجاعا باسلا يحسن الطعن والضرب وسفك الدماء بغير حساب ، ومع ذلك فقد كان يحسن التهكم والسخرية ممن كانوا يتندرون بفضائعه ويبالغون في التجني عليه ، كما كان يميل — بنشأته الاسلامية — الى القول بالقضاء والقدر ، وينزع الى تبني بعض الافكار الصوفية ؟!

وكان قد اتى بصغير السن من اقليم البوصنة الى اسطنبول وتيسر له ان يتصل بعلي بك الحكيم والي مصر فاخذه معه الى القاهرة وهناك تنقل في خدمة حكام مصر ولبس ملبوس المماليك وبرع في السير على نهجهم وتهيأ له ان يحظى بعطف علي بك الكبير رئيس المماليك وان يصبح مع الزمن في جملة القادة الذين اصطفاهم لنفسه حتى جعله واليا على القاهرة بعد ان استقل بمصر وطرد الوالي العثماني منها .

ثم ان الجزار انسل بعد ذلك خفية من مصر حين خاف على نفسه من غدر سيده علي بك — لامور يصعب فهم اسرارها والاقتناع بما يروى منها — وعاد منها الى اسطنبول ثم ذهب لسوريا — في الفترة التي تحالف بها سيده علي بك مع الشيخ ظاهر العمر ومشايخ المتاولة — ليحارب مع والي الشام وامير لبنان خطر هذا التحالف على ولاة الاتراك او كيدا لسيده علي بك ، ثم لما غلب على امره في حكم مدينة بيروت ، وافتضحت خيانته لظاهر العمر عاد الى اسطنبول ، وبتقلب الايام وتطور الاحوال السياسية في البلاد عين واليا على صيدا وعكا من قبل الدولة العثمانية ، بعد ان قضت على سلطان الشيخ ظاهر العمر في فلسطين سنة ١١٨٩ هـ ، وفي هذه الفترة الطويلة من زمن حكمه برز صورة طبق الاصل

لسيده علي بك الكبير ولزميله محمد بك ابي الذهب ، فان من يتصفح سيرة كل من هؤلاء المماليك الثلاثة في نشأتهم وفي تطـور حياتهم وفي حروبهـم وسياستهم وادارتهم ، ثم في خيانة كل واحد منهم لاصحابه واسياده واولياء نعمته ومبالغتهم في الغدر والفتك وسفك الدماء — لا يفرق بين واحد وواحد منهم الا بمـا تسنى له من ظروف موآتية او معاكسة ، بيد ان الجزار في غرائبه وتناقضاته قـد يفوق الجميع •

فمن غرائب الجزار ، انه كان في كل سنة يقتل في قلعة دمشق جملـة مـن الناس بدون تحقيق ، وقد قتل في احدى السنين مئة وستين رجلا خنقا وفي السنة التي تلتها قتل نحو ستين ، وكان كلما جاء دمشق وهـو ذاهب ليحج بالناس او آيب من الحج يعمل مثل هذه الاعمال للارهاب ؟ (١)



وكان الجزار يقتل الكبير والصغير من وزراء وافندية وعلماء واغوات ثـم يرضي السلطان بالمال ويداريه فيتغاضى عنه ، وكان اذا عامـل احـد المغضوب عليهم بالرفق وعزف عن قتله يجذم أنفه ، ثم يصلم اذنه اليمنى ، ثـم يقلع عينـه اليمنى ولو كان من خواص خدامه ، وكم من بيت خربه بسلب مالـه ظلما ، وكم من رجل قتله بعد ان صادره ، وكان لا ذمة له ولا زمام ، خدمه رجال من بيوتات معروفة فلما بدا له قتلهم صادرهم واختلق لهم ذنوبا والقاهم في البحر ؟ (٢)

••• وخرج ذات يوم في عكا قبل الشمس الى باب السراي وامـر باغلاق المدينة وقبض على كثيرين من العمال والكتاب والاهالي فسجنهم وكانوا مائتين وثلاثين انسانا وقبض على النواب وسجنهم وكان كلما تقدم اليـه انسانا يكشف رأسه وينظر في وجهه فالذي يقول فيه نيشان يرجعونه الى السجن والذي يقول ما فيه نيشان يطلق ، ثم انه احضر الفعلة ايضا وصنع بهـم كذلك وقبض منهم جملة واحضر التجار وارباب الصنائع والحمالين وعلى هذا المنوال عامـل الجميع

فامتلأت السجون ، ومن الغد احضر المغاربة وامر ان يخرجوا السجناء كلهم خارج البلد ويقتلوا الجميع ففعلوا ما امرهم به .

قال مدون وقائعه ، وكان يوما عصيبا لم تكن تسمع فيه الا صراخ المقتولين ظلما وعويلهم وأنينهم ، وبقي القتلى كالغنم مطروحين خارج البلد ، ثم امر ان ينادي المنادي في شوارع عكا ليخرج اهل القتلى لدفن موتاهم واشار الى ان كل امرأة ترفع صوتها تقتل حالا ، فخرج الناس ودفنوا القتلى واصبحوا في كرب عظيم وخوف زائد ، ثم ابتدأ يرسل جنوده يقبضون على الفلاحين ومشايخ البلاد واصحاب المقاطعات فمنهم من يقتله ومنهم من يصلم اذنه ويجدع انفه ويطلقه (١).

ومع ذلك كان يحاول ان يقنع سفير فرنسا بانه رجل لا يتوخى الا العدل حين قال في محاورته « ان الناس يقولون ان الجزار رجل غليظ الكبد خشن الطبع وهو في الحقيقة قاس بعدل او عادل بقساوة : واني اطلب اليك ان ترجو من القنصل الاول ـ اي نابليون بونابرت ـ ألا يبعث الي بمفوض للشؤون التجارية من ذوي العاهات ، اني اريد رجلا سليما لا عرج فيه ولا عور حتى لا ينسب الي اني كسرت ساقه او سملت عينيه » !؟ (٢)

ومع هذا الذي لا يحصى من فظائعه وغرائبه وتناقضاته فقد بالغ في بناء مسجده الكبير في عكا على احسن ما يقتضيه اتقان البناء في ذلك العصر ، وبالغ في تأسيس مكتبة له ووقف عليها المئات والآلاف من الكتب والمخطوطات الثمينة التي رسم على غلاف كل مجلد منها العبارة التالية « وقف وحبس وسبل هذا (الكتاب) » الحاج احمد باشا الجزار في جامعه المسمى بنور الاحمدية وقفا صحيحا شرعيا ، وشرع ان لا يباع ولا يرهن ولا يتغرب عن محله ، سنة ١٢١٠ هـ (٣) .

---

١ ـ لاحظ ج٢ ص ٢٢ من الخطط ايضا .

٢ ـ لاحظ ص ٢٠٤ ج١ من السياسة الدولية في الشرق العربي للاساتذة اميل الخوري وعادل اسماعيل .

٣ ـ لاحظ ص ١٠٠ فصل ١٦ من كتاب النكبات لامين الريحاني .

ثم انه كان في الجامع ورعا تقيا جدا يتلو صلاته بصوت مرتفع حار ويسجد السجدات كلها بغيرة في العبادة كغيرة زاهد متبتل (١) •



## انسجام مشايخ المتاولة مع الجزار

نحن الآن في سبيل البحث عن مدى تضامن مشايخ المتاولة مع الجزار ومدى حرصهم على الاستجابة لرغائبه ومتطلباته بعد ان استتبت له الامور ودرجت الايام على سلطان آل ظاهر العمر وكاد ان يصفو له الجو في ولاية صيدا والشام ، ثم في سبيل البحث عما دعا الجزار لانتقامه من مشايخ المتاولة واعيانهم بعد ذلك التضامن والانقياد التام لوحيه وارادته ؟ وليس الى هذا من سبيل الا ما يرويه المؤرخون وخصوصا الذين عاشوا في الفترة التي عاشها ناصيف النصار ، وقبلان الحسن وحمد العباس وحمزة المحمد كالاب افتيموس زكار ، والخوري مخائيل ابريك ، وحيدر رضا الركيني ، والامير حيدر احمد شهاب ومن قد روى عنهم وعن امثالهم من المعاصرين للحوادث كالرحالة الفرنسي فولني ، والمعلم طنوس الشدياق ومخائيل نقولا الصباغ •

فمن ذلك ما جاء في رسالة للاب افتيموس زكار عن غريفه بتاريخ ١٩ ــ ٨ ــ ١٧٧٦ م من قوله « وبعد اخذ دير حنا بمدة ايام وقع القبض من حسن باشا قبدان ( قبطان ) ومن احمد باشا الجزار على عثمان الظاهر واخوته احمد وسعيد، وفاضل بن علي ــ وهذا سلموه أهل طبرية ــ وصالح الظاهر ، وعبد العزيز بن عثمان ، ويوسف دبورة كيخية ( مستشار ) علي ( الظاهر ) الذي سلم دير حنا ، والكل واضعينهم في الجنزير في حبس عكا وفيما بعد يرفعونهم الى الغلايين ( المراكب ) قاصدين اخذهم الى اسلام بول » •

فلما نظر المتاولة هذه الافعال من الدولة قالوا في نفوسهم ليس بعد مسك اولاد ظاهر الا نحن ، وهكذا عدلوا عن ( التفكير في ) مساعدة الدولة وساروا

---

١ ــ لاحظ ص ٢٨٤ من كتاب رحلة في لبنان تعريب الاستاذ رئيف الخوري عن كتاب سوريا والارض المقدسة لجون كارن ، خلال رحلته سنة ١٨٢٧ م .

الى بلادهم وجيشوا بعساكرهم واستعدوا للاطشة ( لمضاربة ) الدولة ان هـي قارشتهم ( تعرضت لهم باذى ) فالدولة فاتت على بلادهم ( مرت ) الـى جسر الاولي وما كلمت احدا من المتاولة ، وجعلوا وطاق العساكر على الجسر والقبدان ( والقبطان ) والجزار حضرا الى صيدا وغلايينهم ( ومراكبهم ) منهـا في صيـدا ومنها على ميناء بيروت واستعدوا لركبة الجبل ( جبل الشوف ) واستغاثوا لذلك ( بالمتاولة ) وما اجابوهم لانهم قالوا في بعضهـم ان ساعدناهم علـى الدروز لا يبقى في السلم سوانا وبعد ان ينتهوا من الدروز يرجعوا علينا ، ولاجل ذلـك ما طابقوا معهم ، وعسكر الدولة وحده لا يقدر ان يقحم بلاد الدروز لكنه مـع هذا عسكر الدولة ضرب شوية على المزارع في ساحل صيدا لاجل التبن والشعير ونهبوا قمح من بعض مواضع • ومرات كانوا يوصلوا الى حدود كرخا ، واوقات لحدود جون ، والجلالية ، واصحاب هذه المواضع يردونهم (١)

وبناء على ما تضمنه هذا القول من رسائل الاب العام افتيموس زكار ، فان المتاولة لم يترامو في احضان الجازر لاول وهلة ولا تهافتوا امام قـوى الدولة وسطوتها لاول بادرة كما كنا نتوهم ، وانما وقفوا منه ومن عساكره موقف الحياد والحذر ، الى ان جرت الامور بمجراها الطبيعي وبدا من الجزار مـا بدى فـي زيارته لمدينة صور ومبيته عند الشيخ احمد العباس ثـم نـزول الشيخ ناصيف النصار بعد ذلك لمواجهته كما يتضح من قول الركيني « وفي سنـة ١١٩٠ هـ في ليلة عشرين من صفر جاء الجزار الى مدينة صور ونام ليلة فيها عند الشيخ محمد العباس » •

وقوله « وفيها ( ١١٩٠ ) ثاني ربيع الاول ركب الشيخ ناصيف أيده اللـه الى صور لمواجهة احمد باشا الجزار » •

ثم قوله « وفيها ( ١١٩٠ ) في يوم السبت الثاني والعشرين من ربيع الاول ركبت خيل ناصيف وخيل القواطعة مع احمد باشا الجزار على علي الظاهر » •

---

١ ـ لاحظ ص ١٧٩ ـ ١٨٠ من تاريخ الشيخ ظاهر العمر للمعلم مخائيل نقولا الصباغ مع تعليقات الاب قسطنطين الباشا .

ثم قوله « وفيها ( ١١٩٠ هـ ) في يوم الاثنين الثاني والعشرين من شهر ربيع الثاني كبست خيل المشايخ اجمع اعني البشارية والقواطعجية الى بلاد صفد مع احمد باشا الجزار على علي الظاهر » .



لاحظ ص ٣٥٠ من العرفان م ٢٨ : ثم لاحظ ان مجيء الجزار الى مدينة صور في اول سنة من سني حكمه ونزوله عند شيخ المقاطعة المتوالي ـ حمد العباس ـ فيه من المعاني ما يشف عن ان الجزار كان يحرص على تطمين المتاولة وتوثيق الصلة بينه وبينهم ، كما ان مواجهة الشيخ ناصيف النصار له في صور بعد ذلك . تنم عما تخلل هذه المواجهة من تصفية الجو بينهم وبينه ، ثم تعرب عن بداية انسجامهم معه حسب الشروط والتقاليد التي كانت متبعة يومئذ ، ثم يزيد في توكيد هذه المعاني وتوضيحها انهم اشتركوا مع الجزار في مطاردة الشيخ علي الظاهر بن الشيخ ظاهر العمر ( حليفهم من قبل ) كما بينا فيما اوردناه من اقوال .

ولكن المشكل هنا في تاريخ الحوادث التي رواها الركيني عن سنة ١١٩٠هـ فانها اذا كانت متأخرة بتاريخ وقوعها عن تاريخ الحوادث التي يرويها الاب افتيموس زكار في رسالته المرسلة في ١٩ ـ ٨ ـ ١٧٧٦ م تكن ملاحظاتنا بمحلها من الصواب في تقدير الموقف الذي وقفه المتاولة من الجزار ، والا فالمسئلة بحاجة الى التفكير واعادة النظر ؟ فيما اذا كان امتناعهم عن الاشتراك مع الجزار في الغارة على جبل لبنان بعد مجيء الجزار الى صور واتفاقه مع مشايخ المتاولة على مساعدة عساكره في اداء مهماتها ، او كان امتناعهم قبل تلك المرحلة من اجتماع صور ؟؟ ذلك بان الامر يختلف في كل من الحالتين ويكون لكل حالة معناها وقيمتها التاريخية المعبرة .



### واقعة الجولان ومقتل ابي حمد

ثم اشترك مشايخ المتاولة في واقعة الجولان سنة ١١٩٣ هـ ، ضد حلفاء

والي الشام محمد باشا العظم تقديرا منهم لميول احمد باشا الجزار والي عكا او عملا بوحيه واشارته ويبدو ذلك حيث يروي الشيخ علي سبيتي ويقول « وسنة الف ومائة وثلاثة وتسعين ركب ابو حمد على عرب عنزة فقتل هو وابن اخيه قاسم المراد ومعهم ماية فارس على نهر الرقاد في الجولان • فركب ناصيف من تبنين فهربت العرب فلحقهم للرمثا وقطع البرية ففاتوا هربا فرجع فوجد ولدين صغيرين في الحارة لفاضل المهنا كبير العرب مريضين في الجدري فخلع عليهم ورجع للبلاد » (١) •

وحيث يقول الركيني في مذكراته « وفي يوم السبت يوم التاسع من شهر ربيع الاول ركبت خيل المتاولة مع الصقر والسردية وبني صخر على عرب عنزة رعية فاضل مزيد ، فالتقى الجمعان يوم الاثنين الحادي عشر من ربيع الاول فقتل الشيخ ابو حمد وابن اخيه قاسم المراد ، وسلبت العرب جميع خيل ابي حمد وما ابقت لهم شيئا يستر ابدانهم لانه صادفهم في يوم الواقعة شتاء كثير ومطر غزير ، وكل من قطع ماء الرقاد وقعت الهوشة عليه مع الدولة والعرب ، ومن حين رمي ابو حمد ما عاد احد قطع الماء واكثر المسلبين ماتوا من البرد والشتاء العظيم لان الشتاء ( بقي ) قدر ثمانية ايام بلياليها حتى ان الذي مات في الهيش جاءت الدولة اليه وقطعت رأسه واخذت الدولة الرؤوس معهم الى الشام رؤوس الذين ماتوا من البرد ورءوس الذين قتلوا في المعركة (٢) •

ثم حيث يبالغ مؤلف جبل عامل في التاريخ ، ويتوسع في تلوين محتوى هذه النصوص اذ يعرضها على النحو التالي « في سنة ١١٩٣ هـ استنصر عرب الصقر وعرب السردين وعرب بني صخر بالشيخ ناصيف النصار على خصومهم بني حسن المرؤسين لآل المزيد ، وكان آل المزيد قد استنصروا بالحكومة وكان اسم رئيسهم فاضل المهنا فأمدهم ناصيف بجيش ذي عدة وعدد وتوجهت الجيوش يوم السبت تاسع ربيع الاول فالتقى الجمعان في نهار الاثنين الحادي عشر من ربيع الاول من سنة ١١٩٣ هـ في ( الجيدور ) من اعمال حوران على مقربة من ( الحارة ) وكان نهر الرقاد يفصل بين القوات المتحاربة وكانت هذه

الواقعة في فصل الشتاء وقد استمر المطر ثمانية ايام بلياليها واشتد البرد وتوحلت الارض وكثر الضباب ومل الناس من الانتظار فجازف ابـو حمد واجتاز النهر ، والظاهر ان الفرسان كانت تجتازه وهو مثقل باعباء المطر والبرد والعبور ، وكان ذلك اليوم كثير المطر والضباب فانهال الفرسان عليـه مـن كـل جانب وهـم لا يعرفونه ولم يجد مجالا للقتال ، ومذ تجلـى الضباب وتكشف الحـرب تبين ان ابا حمد قد قتل وهكذا كان حال من عبر النهر ، ولم يجرأ بعده احد على العبور وكل من عبر النهر قتل ، وقد استشهد معه ابن اخيه قاسم المراد النصار صاحب قلعة دوبيه ومائة فارس وقد قطعت الحكومة رؤوسهم ورؤوس من مات من البرد وجردهم اعداؤهم من اللباس وتركوهم عرايا مسلبين » .

وعندما فهم بنـو حسن بقتل ابـي حمد ايقنوا بالهلاك والبـوار وتهيأوا الفرار وطلبوا الفيافي والقفار ولـما انتهى الخبر الـى ناصيف هب للاخذ بالثأر وطار بما تيسر له من الفرسان واقتفوا اثـر المنهزمين فدفدا بعـد فدفد ، وكان المنهزمون يصلون الليل بالنهار لشدة خوفهم وكان ناصيف يسرع في اثارهم الـى ان ادرك احدى المنازل واثار النار لم تزل فيها ، فعلم انه قد اقترب منهم فجد في السير والطلب ولما لاحت اشباح الغزات المنهزمين أيقنوا بالهلاك والبوار فنجوا بانفسهم تاركين الاثقال والنساء والانفال فانتهى ناصيف الـى منازلهـم ورأى اثار التسليم بادية ولم يجد في المنازل احدا من الرجال فعندها حملته سجاياه على العفو والاحسان فامر الفرسان باعتزال البيوت ونزل هو في بيت كبيرهم ودعـا بأكبر اولاد فاضل المهنا وكان له من السن دون العشرة فخلع عليه فروا ثمينا ثـم دعا باولاد الشيوخ والموجهين فخلع عليهم كلا بحسبه فضج الحـي ومـن فيـه بالدعاء والابتهال (١) .



**الهـوامش والتعليقات**

اذا لاحظ القراء ان الحرب الباردة كانت قائمة بين والي عكـا احمد باشا

١ ــ لاحظ ص ١٤٦ ــ ١٤٨ من جبل عامل في التاريخ للشيخ محمد تقي الفقيه .

الجزار وبين والي الشام محمد باشا لعظم من يوم اختلافهم في امر الشيخ علي بن الشيخ ظاهر العمر وقتله غيلة على يد القيصرلي (١) ثم تحولت الحرب الباردة بعد ذلك الى حرب ساخنة كما يتضح من قول الركيني . « وفي سنة ١١٩٤ هـ في يوم الخميس خامس وعشرين من شهر رجب، ركبت خيل الشيخ ناصيف الى عند الجزار الى عكا لمحاربة محمد باشا باشة الشام » (٢) .

ثم لاحظوا أنه كان من تقاليد ولاة الدولة العثمانية ـ اذا تمرد عليهم احد من الناس او غضبوا على حاكم او امير ـ ان يدفعوا مجاوريه من الحكام ورؤساء العشائر مع ثلة من عساكر الدولة لمحاربة من يتمرد عليهم او يغضبون عليه (٣) .

ثم لاحظوا مع هذا ان عسكر الدولة كان مشتركا ـ في واقعة الجولان ـ مع رجال العشائر العربية التي قتلت أبا حمد النصار وفرسان المتاولة ، وانهما اخذت رؤوسهم الى الشام ـ بدا لهم ولنا من خلال هذه الملاحظات ان ارسال الشيخ ناصيف لاخيه ابي حمد وابن اخيه قاسم المراد بمائة فارس من المتاولة الاشتراك مع حلفاء احمد باشا الجزار في واقعة الجولان ـ ضد عساكر محمد باشا العظم وحلفائه من القبائل العربية ـ لم يكن بادرة عفوية من ناصيف وانما كان بوحي من الجزار وامتثالا لارادته ، اذ لا يعقل ان يرسل ناصيف اخاه وابن اخيه مع ماية من فرسان المتاولة ضد والي الشام وضد القبائل المدعومة بعسكر الدولة ـ حين يكون والي عكاء ووالي الشام متفقان معا ضد القبائل التي عضدها ناصيف ، لان في ذلك ما يسخط ولاة الدولة جميعا عليه ويخلق له وللمتاولة مشاكل كبيرة لا يعقل ان يتجاهلها ناصيف او يستخف بها احد منهم ، واذا كان عرب آل المزيد قد استنصروا بدولة والي الشام كما تشير القرائن وكما يصرح مؤلف جبل عامل في التاريخ بذلك .

فهل كان اخصامهم من عرب الصقر والسردية وبني صخر في غفلة عن مثل هذه الوسيلة ليهملوا امر دولة والي عكا ويتوجهوا لناصيف بدون رخصة من

---

١ ـ لاحظ ص ٨٣١ ج٢ من نزهة الزمان للامير حيدر طبع مغبغب في مصر سنة ١٩٠٠ ، وص ٤٦٥ م ٢٨ من المقتطف وص ٥٦٠ من كتاب للبحث عن تاريخنا في لبنان .

٢ ـ لاحظ ص ٧٢٨ من العرفان م ٢٨ . ٣ ـ لاحظ ص ١٤٤ من كتاب مع التاريخ العاملي .

الجزار او اشارة من كتّابه لناصيف كي لا يتباطأ عن تلبية رغائبهم .

وعليه ــ اذا صح ان واقعة الجولان هي في حقيقتها واقعة بين والي الشام محمد باشا العظم ووالي عكا احمد باشا الجزار ، وان ناصيف النصار انما اشترك برجاله مع جموع والي عكا في تلك الواقعة امتثالا لارادة الجزار وبوحي منه ــ فلا يصح بعد ذلك ان يطمئن القراء لرواية الشيخ علي السبيتي وقوله في التعقيب على اخبار مقتل ابي حمد « بان ناصيف زكب بعد ذلك من تبنين فهربت العرب فلحقهم للرمثا وقطع البرية فعافوا هربا فرجع فوجد ولدين صغيرين في الحارة افاضل المهنا كبير العرب مريضين في الجدري فخلع عليهم ورجع للبلاد » (١) .

او يصغي لقول العلامة الشيخ محمد تقي الفقيه « ونزل هو ــ اي ناصيف ــ في بيت كبيرهم ودعا بأكبر اولاد فاضل المهنا وكان له من السن دون العشرة فخلع عليه فروا نسينا ثم دعا باولاد الشيوخ والموجهين فخلع عليهم كلا بحسبه فضج الحي ومن فيه بالدعاء والابتهال » (٢) .

ذلك بان ناصيف كان يعلم ان اولئك العرب لم يكونوا هم قتلة اخيه ابي حمد وفرسانه من المتاولة بل انه كان يعتقد بان الذين قتلوا من المتاولة لم يقتلوا الا بسيف الدولة وبارادة والي الشام ، والا لما اخذت الدولة رؤوسهم الى الشام ؟!

فالتفكير بان يأخذ بثأرهم من العرب فيه ما فيه من الغرابة ودواعي الشك بحكمة ناصيف وتعقله للامور ، او فيه ما فيه من تطرف الرواة ومبالغتهم في تلوين الحوادث ، واذا جاز ان يكون الشيخ ناصيف قد ركب من تبنين الى مكان المعركة فلكي يتفقد جثث القتلى ويقف على قبورهم بعض الوقت اداء لحق الرحم وتلبية لنداء العاطفة .

ثم هل كان بني حسن وقبائلهم مقيمين في جبل عامل او بجواره ليفروا من وجه ناصيف ويقتفي أثرهم او ليطمع في ان يدركهم ؟ ام انهم كانوا بعيدين بمنازلهم وبمراحل انتقالهم عن ان يدركهم ناصيف ورهطه بأذى ؟

---

**١ ــ لاحظ ص ٢٢ ــ ٢٣ من العرفان م ٥ ، ٢ ــ لاحظ ص ١٤٧ ــ ١٤٨ من كتاب جبل عامل في التاريخ .**

ثم ان الذين صمدوا لابي حمد وفرسان المتاولة وجماهير عرب الصقر والسردية وبني صخر وشردوا الجميع ، هل يمكن ان يجزعوا او يفروا من مجابهة اخيه ناصيف ليتركوا نسائهم واطفالهم وديارهم عرضة للهوان بمجرد ان لاحت لهم اشباح الغزاة من بعيد ؟؟

ثم بعد : هل كان الشيخ ناصيف – حين حاول ان يخلع الخلع على ابناء قتلة اخيه وقتلة فرسان المتاولة – يجهل ان موضع القصاص والاخذ بالثأر غير موضع العفو والاحسان لتفوته حكمة المتنبي وقوله :

ووضع الندى في موضع السيف بالعلا مضر كوضع السيف في موضع الندى



## واقعة علمان وعانوت سنة ١١٩٥ هـ

وكما اشترك مشايخ المتاولة مع عساكر الجزار وحلفائه في مطاردة علي الظاهر ثم في واقعة الجولان ، فقد اشتركوا مع عساكر الجزار والامير يوسف شهاب في واقعة علمان وعانوت وذلك في الفترة التي قتل الامير يوسف اخاه الامير فندي وقامت الاهالي ضده وفر الى عند الجزار ودفع له ثلاثماية الف غرش ، واعاده الى حكم البلاد وطنه وبعث معه عسكرا ، وعندما وصل الامير يوسف بعسكر الجزار الى قرية علمان وعانوت ، جرت بينهم وبين عسكر الاميرسيد احمد شهاب معركة انكسر فيها عسكر الامير سيد احمد واهالي البلاد (١) .

وفي هذه المعركة ركب المتاولة بقيادة ناصيف مع عساكر الجزار والامير يوسف ووصلوا بهجومهم الى جزين على ما يرويه الركيني في قوله :

« وفي هذه السنة ( ١١٩٥ هـ ) يوم السبت يوم الرابع عشر من ربيع الاول ركب الشيخ ناصيف والشيخ حمد العباس مع احمد باشا الجزار والامير يوسف بن الشهاب على الشوف وكان الركوب في اول برد العجوز في سابع وعشرين شباط ، ثم انتهى وصول المتاولة مع الشيخ ناصيف الى جزين فحين وصل الخبر الى اهالي الشوف بوصول الذين قلوبهم بحب الله مشغوف ، زعق في الشوف

غراب البين ونادوا باجمعهم الهرب الهرب ، واما حضرة الامير يوسف انتقل الى المختارة وبعذران وجعل يهدم الدور والبنايات ، وارسل الى جناب حضرة الشيخ ناصيف المؤيد المسدد ، ان رأيتم — غير مأمور عليكم — ان تكفوا العسكر عن القتل والنهب والحريق لان البلاد بلادكم والرعية رعيتكم وامر جنابكم ماضي علينا في الرخاء والضيق ورفيقنا ورفيقكم فرد رفيق وان شاء الله الطريق فرد طريق ، لان غيرتكم ورأيكم السديد الذي بدا معنا وما بذلتموه لدينا ما سبقكم عليه لا اخ ولا صديق . فيجب علينا حفظه على مر الدهور والايام » .

واما اولاد الشيخ علي جنبلاط فقد هربوا الى قرية الريحان وفاتوا جميع ما في ديارهم من الفرش والاثاث ورجعوا خفية الى جباع الى عند الفقهاء بيت الحر لمواجهة الشيخ ناصيف فكان جواب جنابه لهم هذا أمر متعلق بالدولة العلية ولكن ان شاء الله عز وجل نبذل المجهود في نظم صالحكم ، ثم بعد ذلك رجعت العساكر بأمر الشيخ ناصيف من جزين الى بلاد بشارة وركبت على الدروز الحملة والغارة . (٢)

★ ★ ★

## واقعة الظهر الاحمر

ثم اشترك المتاولة مع عسكر الجزار في واقعة الظهر الاحمر ، وذلك بعد ان ربح الامير يوسف وعسكر الجزار معركة علمان وعانوت وبعد فرار الجنبلاطية الى جبل عامل وفرار الامير سيد احمد الى قرى اقليم المتن ، ثم التقاء الجميع بعد ذلك في ( قب الياس ) حيث التمسوا هناك من والي الشام محمد باشا العظم ان يولي الامير سيد احمد شهاب واداي التيم الفوقا والتحتا مع البقاع الغربي ، فاستجاب الباشا لطلبهم ووعدهم بالمعونة ووجه للامير سيد احمد العساكر ، وعندما التقوا بعساكر الشام ساروا معها الى راشيا الوادي واصطدموا بعساكر الامير محمد امير راشيا ومعهم عساكر الجزار والامير يوسف عند قرية الظهر الاحمر وجرت بينهم معركة دامية انكسر فيها عسكر الامير محمد شهاب امير راشيا واعوانه من عساكر الجزار والامير يوسف . (٣)

وفي هذه المعركة ركبت خيل المتاولة اجمع وتوجهوا — بوحي من الجزار — نحو حاصبيا ليشتركوا مع عساكر الامير اسماعيل شهاب في نجدة الامير محمد امير راشيا ضدّ عساكر محمد باشا العظم وعساكر الامير سيد احمد كما يبدو من رواية الركيني وقوله « وفي هذه السنة ( ١١٩٥ هـ ) ركبت خيل المتاولة اجمع مع الامير اسماعيل ( شهاب ) على دولة الشام وكان الركوب يوم السبت يوم العشرين من ربيع آخر ، وذكروا انها صارت بين دولة الشام وبين أهالي راشيا الدروز وقعة عظيمة وقتل بينهم قدر ثلاثماية رجل وكانت الوقعة في ارض الظهر الاحمر • (٤)



## واقعة قب الياس

ثم اشترك المتاولة مع عساكر الجزار في معركة ( قب الياس ) وذلك عندما عاد الامير سيد احمد من معركة الظهر الاحمر الى قب الياس وعاد اليه الجنبلاطية واستنجدوا بمحمد باشا العظم فامدهم بقوة من عسكر الشام ، فسار اليهم الامير يوسف بما عنده من عساكر الجزار وعساكر اللبنانيين ودارت الحرب بين الطرفين في ارض قب الياس وانهزم الامير سيد احمد مع عساكر الشام • (٥)

وفي هذه المعركة اشترك المتاولة ايضا مع عساكر الجزار وعساكر الامير يوسف ضد عساكر والي الشام وعساكر الامير سيد احمد ، على ما يرويه حيدر رضا الركيني في قوله « وفيها سنة ( ١١٩٥ ) في يوم الخميس ركبت خيل المتاولة اجمع مع الامير يوسف بن ملحم الشهاب الى البقاع على الامير السيد احمد ودولة الشام ومحمد باشا العظم و ( كان ) دولة احمد باشا الجزار باشة صيدا مع الامير يوسف وكان الركوب يوم الثلاثين من جمادى الاولى من هذه السنة» (٦)



## الهوامش والتعليقات

١ ـ لاحظ ص ١٢٨ ـ ١٣٠ ج١ من لبنان في عهد الامراء الشهابيين ، وص ٨٣٨ ـ ٨٣٩ من نزهة

الزمان ج٢ مطبعة مقبقب في مصر سنة ١٩٠٠ .

٢ ـ لاحظ ص ٢٨٠ من العرفان م ٢٨ ، ثم لاحظ الاختلاف في توقيت الحوادث ثم الاختلاف بين ما يقوله الركيني هنا وبين ما يقوله الشهابي من : ان الجنبلاطيين ذهبوا في فرارهم من الشوف « الى ديار جبل عامل فنزلوا على حيدر بن فارس الصعبي » او يقوله المعلم طنوس الشدياق من انهم ( ذهبوا الى حاصبيا ) : ثم يلاحظ من رواية الركيني بعد هذا « ان المتاولة قد توجهوا الى الشوف من جهة جزين لا من جهة علمان وعانوت ، وفي هذا ما قد يشعر بانهم لم يدركوا مكان الواقعة ولم يشتركوا عمليا بمعارك علمان وعانوت » .

٣ ـ لاحظ ص ١٣١ من لبنان في عهد الامراء الشهابيين ج١ ثم ص ٦٠ من اخبار الاعيان ج٢ ، من الطبعة الثانية سنة ١٩٥٤ ميلادية .

٤ ـ لاحظ ص ٨٣٢ من العرفان م ٢٨ ، ثم لاحظ ان المتاولة ـ حسب رواية الركيني هذه ـ قد ركبوا لينضموا الى عسكر الامير اسماعيل امير حاصبيا ويتوجهوا معه نجدة للامير محمد امير راشيا وحلفاءه من عساكر الجزار والامير يوسف ضد عساكر محمد باشا العظم والامير سيد احمد وحلفائهم من اللبنانيين : لكن الامير اسماعيل لم يتوجه معهم للحرب ضد محمد باشا العظم بل مال اليه وتوسل به ليمنع عساكر الامير سيد احمد وعساكر الشام من الوصول الى حاصبيا ، وميل الامير اسماعيل لعدو الجزار الاكبر محمد باشا العظم وتخلفه عن نجدة عساكره وعن امتثال اوامره في مساندة امير راشيا ربما اثر على عزم مشايخ المتاولة وعلى سيرهم لنجدة حلفاء الجزار على حلفاء خصمه محمد باشا العظم .

٥ ـ لاحظ ص ١٣٢ ج١ ، من لبنان في عهد الامراء الشهابيين وص ٦١ من اخبار الاعيان ج٢ طبعة سنة ١٩٥٤ .

٦ ـ لاحظ ص ٨٣٢ من العرفان م ٢٨ : ثم لاحظ ان المتاولة قد ركبوا مع الامير يوسف للاشتراك في معركة قب الياس امتثالا لرغبة الجزار ، فلا أدري كيف تجاهل مؤرخو لبنان القديم والحديث اشتراك المتاولة في هذه الواقعة ؟ وعلى كل سواء تجاهل مؤرخوا لبنان وجود المتاولة في هذه المعركة لان المتاولة لم يعتبروا من اللبنانيين قبل الانتداب الفرنسي على لبنان وسوريا او تجاهلوا المتاولة في معارك عانوت والظهر الاحمر وقب الياس تهاونا بهم او تنكرا لمكانتهم القتالية ، فانه من المؤكد ان المتاولة قد لبوا طلب الجزار والامير يوسف بركوبهم للقتال معهم ، وبانهم لم يتخلفوا قط ، وان ركوبهم في كل مرة ينتدبونهم للحرب فيه تعزيز لمعنويات الجيش الذي يؤيدونه وفيه امتثال واطاعة للاوامر ولو لم يصلوا الى قلب المعركة .



## .. ومـاذا بعـد ؟؟

.. ثم ماذا بعد واقعة قب الياس التي وقعت في جمادى الاولى سنة ١١٩٥ هـ ، هل جرى بعدها من الحوادث ما يشوش العلاقات بين مشايخ المتاولة ودولة الجزار ؟

انني مع كل ما بذلت من جهد في البحث عما قد يسخط الجزار – ويقلقه من تصرفات مشايخ المتاولة ومواقفهم تجاه سياسته وتطلباته منهم في هذه الفترة بين جمادى الاولى وشوال من سنة ١١٩٥ هـ – لم ار فيما يرويه المؤرخون ما يدعو الى شك الجزار بمشايخ المتاولة او يوجب سخطه وثورته عليهم سوى ما يحدثنا به الامير حيدر احمد شهاب من « ان الامير يوسف شهاب لما قتل اخاه الامير افندي وخاف من نقمة الاهالي عليه فر الى عكاء ، وعند وصوله الى بلاد المتاولة التقاه الشيخ ناصيف النصار ونهاه عن النزول الى عكا وقال له ، انه يسلمه بلاد المتاولة ويكون هو تحت يده فما قبل الامير يوسف وظل سائرا في طريقه » (١) .

فاذا افترضنا صحة هذا القول الذي يمثل الشك بسياسة الجزار وامانته ويتضمن التحذير من غدره وسوء نيته ، ثم افترضنا ان يكون قد وصل هذا القول الى مسامع الجزار بطريق من طرق الوشاية والدس .

فهل في هذا القول وحده ما يكفي لان يكون سببا لنقمة الجزار وثورته على مشايخ المتاولة ؟ ام ان هناك اشياء اخرى لم نصل بعد الى مصادرها او كشف حقائقها ؟؟ هذا اذا صح ان اعمال الجزار الكيفية واجرائته التعسفية وعقده النفسية يمكن ان تأول او تعلل حسب الاصول والقواعد المنطقية ؟؟



### واقعة يارون ومقتل ناصيف سنة ١١٩٥ هـ

يقول الركيني « وفي سنة ١١٩٥ هـ في يوم الاثنين خامس شوال صار بين الشيخ ناصيف وبين دولة احمد باشا الجزار وقعة في ارض يارون وقتل الشيخ ناصيف وحزنت عليه المتاولة اجمع الى مرجعيون !! وصار الامير اسماعيل يعد النساء ويأخذ عليهن خفرا ، كما اخذ العداد والخراج ، وهدمت الدولة القلع واخذوا ما في القلعة وهدموها ، وهرب المشايخ الى بلاد بعلبك ، والشيخ قبلان

---

١ – لاحظ ص ٨٣٨ من نزهة الزمان ج٢ من طبعة مغبغب في مصر .

واخوته الى الشام وجعل الامير اسماعيل ( امير حاصبيا ) يمسك اتباعهم ويبلغهم بامر الجزار ، وجعلت الدولة تأخذ من الرعية الاموال والخيل والسلاح ، وكانت هذه السنة سنة خوف وجزع وذعر شديد » (٢) •



**الواقعة كما يرويها الامير حيدر شهاب**

ويقول صاحب نزهة الزمان « وفي السنة ١١٩٧ هـ و١٧٨٢ م بعد رجوع احمد باشا الجزار الى عكا جعل يفرغ جهده في امتلاك بلاد بشارة كما امتلك بلاد صفد ، وكان المتاولة متحصنين في القلع ومستعدين للقتال ، وهم ثلاث قبائل تحت رئاسة ثلاث عائلات ، وهم بنو علي الصغير • ومقدمهم الشيخ ناصيف النصار ، واخوته ، وبنو منكر فريق منهم مقدمه الشيخ محمد الحسن وعشيرته ، والآخر مقدمه الشيخ حيدر الفارس » ؟؟

وكان عندهم ابطال لا تطاق في الحرب وكان قد جرى بينهم وبين الجزار وقائع كثيرة ولم يظفر منهم بطائل ؟؟ فجهز لهم هذه المرة عسكرا عظيما ولما بلغ الشيخ ناصيف النصار قدوم العسكر جمع رجاله ونادى بقبائل بني متوال فاجتمعوا اليه من القبائل الثلاثة لانه كان كبير المشايخ والجميع ينقادون اليه ، وسار بتلك العساكر قاصدا عسكر الجزار وانتشب بينهم الحرب وحمل في مقدمة العسكر الشيخ ناصيف النصار ولم يلبث ان اصابته رصاصة في رأسه فقتل ، ثم قتل اخوه ابا حمد وكان يعد في الحرب بالف فارس ؟؟

فانهزمت المتاولة واخلت البلاد ودخل عسكر الجزار بلاد بشارة وتسلموا قلعة هونين وقلعة يونين ( تبنين ) وحاصروا قلعة شقيف ارنون وكان بها الشيخ حيدر الفارس وبعد ايام سلم فاخذوها بالامان ثم قتلوا كل من فيها وتسلموا قرية صباع ( جباع ) وتفرق عسكر الجزار في تلك البلاد ، وباد اسم بني علي الصغير وبني منكر ، والذين سلموا من الحرب هربوا مع اولاد الشيخ ناصيف

---

٢ ـ لاحظ ص ٨٣٢ من العرفان م ٢٨ .

النصار الى بلاد عكار واجتمعوا بمحمد بك الاسعد ( المرعبي ) لاحظ ص ٨٤١ — ٨٤٢ من نزهة الزمان ج٢ من طبعة مصر سنة ١٩٠٠ ٠

★ ★ ★

**الهوامش والتعليقات**

١ — يلاحظ ان الركيني لم يذكر لهذه الواقعة اي سبب ولا فصل كيف وقعت ولا ذكر اسماء القادة الذين اشتركوا فيها من كلا الطرفين مع ان الحوادث التي رواها قبل ذلك تنفي ان يكون لهذه الواقعة اي مبرر من قبل الجزار او من قبل المتاولة ؟؟

٢ — ثم يلاحظ ان الشيخ حيدر الفارس هو من العائلة الصعبية وهي مستقلة بنسبها وبمقاطعتها من اقليم الشقيف عن بني منكر ومقاطعاتهم في اقليمي الشومر والتفاح فكيف جعلها المؤرخ الشهابي فرعا من فروع آل منكر ؟

٣ — ثم يلاحظ ان ابا حمد اخا الشيخ ناصيف النصار لم يكن حيا في هذا الوقت الذي وقعت به واقعة يارون سنة ١١٩٥ هـ ذلك بان أبا حمد هذا قد قتل في واقعة الجولان سنة ١١٩٣ هـ كما تقدم من اخبارها في هذا البحث ، فعده من ضحايا واقعة يارون خطأ واضح من الشهابي ٠

٤ — ثم يلاحظ من رواية الركيني والسبيتي وغيرهم ان جل الذين سلموا في هذه الواقعة من مشايخ المتاولة واعيانهم قد فروا الى بعلبك والهرمل والشام، ومنهم من ذهب الى العراق ثم الى الهند ، لا الى عكار كما تنص رواية صاحب نزهة الزمان ٠

٥ — ثم ان من يلاحظ سلسلة الحوادث التي اشترك بها المتاولة منذ ان حكم الجزار في ولاية صيدا الى ان حدثت واقعة يارون سنة ١١٩٥ ، يدرك ان مشايخ المتاولة مع الشيخ ناصيف النصار نفسه كانوا دائما مع الجزار يأتمرون بأوامره وينتهون بنواهيه ويشتركون مع عساكره واعوانه من القادة في كل معركة ينتدبهم اليها ، فكيف نطمئن بعد الى هذا القول الذي يقوله الامير حيدر احمد

شهاب ومن يروون عنه من « انه كان بين الجـزار وبين مشايخ المتاولـة حروب ومعارك كثيرة » قبل معركة يارون التي قتل بها الشيخ ناصيف ؟ ثـم كيف تفسر البواعث الحقيقية والاسباب التي دعت الى حدوث واقعة يارون ، اذا لـم نأخذ بعين الاعتبار رواية الشيخ علي سبيتي وقوله « وفي سنـة خمسة وتسعين والف أرسل الجزار عسكر الى حاصبيا فجاء الـى يارون فظن اهـل بـلاد بشارة ان العسكر يريدهم فحضر ناصيف وصارت وقعة ناصيف وخربت البلاد ، وقيل ان عسكر الجزار حضر للبلاد بواسطـة صاحب قلعـة هونين وصار قتـل ناصيف بواسطته وظن ان البلاد تصفى له فلم يبقي على احد منهم » •

★ ★ ★

لاحظ ص ٢٢ ــ ٢٣ من العرفان م ٥ نقلا عن مخطوطة الحاج محمد سهيل وناصيف باشا الاسعد ، ثم لاحظ ان رواية السبيتي هذه اقرب الـى التصديق مما يرويه الشهابي وبقية المؤرخين العامليين الذين تأثروا بقول الشهابي وبروايته : ذلك بان الجزارا كان مستاء يومئذ من امير حاصبيا الامير اسماعيل شهاب لميلـه الواضح الى عدوه الاكبر محمد باشا العظم وتوسله به ليمنع عسكر الامير سيد احمد وعسكر الشام عن الوصول الى حاصبيا ، ثـم لتخلف الامير اسماعيـل ــ بسبب ذلك ــ عن نجدة احلاف الجزار في معركة الظهر الاحمر التي انتصر بها احلاف والي الشام على احلاف والي عكا ، وربما اتهمه الجزار بانـه قـد ثبط عسكر المتاولة عن الوصول الى الظهر الاحمر لنجدة حلفائه ضد عساكر والـي الشام وحلفائه ــ اذا صح ان المتاولة لم يصلوا بعساكرهم الـى مكان المعركة ، أضف الى ذلك ان الامير اسماعيل امير حاصبيا كان يسعى دائما للصلح بين اعداء الجزار من مشايخ الدروز وامرائهم الذين كان الجزار يكره اتحادهم ويخاف منه على مخططاته السياسية ومساوماته النفعية •



وان في كل واحدة من هذه المحاولات والمخالفات مـا يوجب سخط الجزار على أمير حاصبيا فكيف بهذه الهنات كلها اذا تجمعت في سجـل الامير اسماعيل

عند الجزار ؟؟ ولكن مفاجأة الشيخ ناصيف والمتاولة واعتراضهم لعسكر الجزار في ارض يارون حولت الجزار عن عزمه وشغلته عن امير حاصبيا الى ان انتهى من اجتياح بلاد المتاولة ومن القضاء على نفوذ مشايخهم ، ثم تفرغ لامير حاصبيا على ما يبدو للقارىء من تفاصيل حوادث سنة ١١٩٨ هـ ٠



ثم لاحظ ان الشيخ قبلان الحسن صاحب قلعة هونين معروف بانه كان عاقلا متحفظا يحسب للعواقب حسابها، ثم معروف بانه كان على صلة تامة بالولاة من آل العظم اخصام الجزار ، وانه كان يتردد عليهم ويضمن منهم مقاطعة القنيطرة ( في اجولان ) ٠



ثم لاحظ ان الشيخ قبلان هذا لما فر – بعد واقعة يارون – فر الى الشام وان محمد باشا العظم والي الشام وخصم الجزار قدم للشيخ مساعدة مالية لدى قدومه ، ثم أقطعه مقاطعتي الهرمل ورأس بعلبك لهذا نشك بان يكون بين الشيخ قبلان وبين الجزار هذه العلاقة الخاصة التي تشجعه على الوشاية بأبن عمه ناصيف ، لو صح انه كان بينه وبين ابن عمه شيء من سوء التفاهم الى حد يحمله على الوشاية به ، بل ربما كان بين الشيخ قبلان وبين الجزار قدر من الشك والتحفظ والحذر يمنعه من ان يركن الى الجزار في مثل هذا العمل المريب لو جاز ان يكون قد فكر فيه ؟



ثم لو ان هناك وشاية من الشيخ قبلان على الشيخ ناصيف لاستغلها الجزار في زرع الفتن وخلق الاحقاد واشعال الحروب بين مشايخ المتاولة الى ان يهلك بعضهم بعضا ، كما زرع الفتن واشعل الحروب بين الامراء اللبنانيين ثم امراء وادي التيم من الشهابيين الى ان اذلهم وجعل بعضهم يقتل بعضا وهو في عكاء

يدخن ( الشبق ) ويقبض مئات الالوف تقدمة منهم ثمنا لرضاه ومساعدته على ان ينكل بعضهم ببعض •



بل ان الذي يبرر قول السبيتي ( بأن عسكر الجزار الذي مر بارض يارون كان قاصدا حاصبيا ) هو ان الجزار كان في غنى عن قتل ناصيف النصار بهذه الصورة المكشوفة اذ كان باستطاعة الجزار ان يستمر على خطته في استخدام ناصيف وجيش ناصيف في الحرب ضد بقية اخصام الدولة واخصام الجزار الى ان تتلاشى قوى ناصيف ويتبدد اعوانه ويبقى عاجزا عن كل حركة تخيف الدولة او تخيف الجزار منه ومن المتاولة كما استخدمه من قبل في الحرب ضد الشيخ علي الظاهر ثم ضد امراء الدروز ، ثم ضد احلاف محمد باشا العظم وعساكره من القبائل العربية الى ان استشهد اخوه ابو حمد وابن اخيه قاسم المراد مع مابة من فرسان المتاولة كل ذلك امتثالا لاوامر الباشا واخلاصا لوحيه ، ثم ما الذي كان يمنع الجزار ان يدعو الشيخ ناصيف الى عكا ويعتقله او يقتله ويضع مكانه من يشاء من الحكام كما كان يفعل مع امراء لبنان ، لو ان هناك وشاية من مشايخ المتاولة على ناصيف او كان لناصيف جرم ملحوظ لدى الجزار واعوانه ؟؟ او لو كان بينه وبين الجزار ما يوجب ان يقتله او يقضي عليه •

وعليه فلا ندري اي الروايتين اقرب للواقع التاريخي ، رواية الفاضل السبيتي أم رواية الركيني الابن ؟؟ ولولا ان الركيني الابن يتناءى في رواياته عن التقيد بالواقع وملابساته جهلا منه بحقيقة الواقع او استهتارا به ، ولولا ذلك الشياع الذي بات يرجح رواية السبيتي حتى لدى ادباء آل الصغير واعيانهم كالحاج محمد سهيل وناصيف باشا الاسعد الذين اخذت رواية السبيتي عن مخطوطهما لولا ذلك لبقينا في حيرة من امرنا وامر الرواية التي يصح ترجيحها والاعتماد عليها •



ثم انه مع كل هذه التحفظات والملاحظات المعقولة بافتراضاتها يبقى هناك

سؤال يهمس في وجدان كل باحث، وذلك كيف قدر لناصيف ان يشعر بان هذا العسكر الذي نزل أو مرّ بقرية يارون، كان يقصد الايقاع به وبانصاره من المتاولة؟؟ ثم كيف استطاع بهذه السرعة الخاطفة ان يجمع قوى المتاولة لمباغتة هذا العسكر قبل ان يغادر اراضي يارون ؟ لو لم يكن في الامر سر بالغ الاثر على تفكير ناصيف وحدسه ، ولو لم يكن وراء الكواليس ما وراءها من عوامل التحفز والانقضاض على عسكر الجزار في يارون ؟؟ ومثل هذا السؤال يبقى واردا الى ان يتاح لنا من القرائن والنصوص التاريخية ما يجيب عليه بدقة ووضوح •



اما ما يقال من ان ناصيف اسرع لصده بشرذمة من خيله لا تزيد عن سبعماية فارس كانت ترابط معه دائما في حصن تبنين فقول يتنافى مع ابسط الحقائق العلمية ذلك بانه لو أتينا اليوم بسبع ماية رأس خيل دون الفرسان ثم ادخلناها قلعة تبنين فانها لا تتسع بفسحاتها واقبيتها لاكثر من نصف هذا العدد ؟ فكيف كانت اذن تتسع في ايام ناصيف لسبع ماية من الخيل والفرسان ؟؟ وهل كانت اوسع مما يدور عليه صورها اليوم ؟ ثم هل كانت ميزانية حاكم مقاطعة تبنين تقوى على تحمل نفقاتها السنوية التي تبهظ ميزانية والي الايالة (١) •

وهكذا الشأن فيما يقال من انه « عندما حمل ــ ناصيف ــ على فارس كان يبارزه في معركة يارون واذا بفارس آخر زنجي اطلق عليه الرمح فاصابه بجرح فثبت له وانثنى كارا عليه وضربه بالسيف فقتله وبينما هو كذلك واذا بثلاثة فوارس آخرين قد هجموا عليه فاراد ان يثني عنان جواده نحوهم فزلت نعال الجواد على بلاطة صخرة مستوية فسقط هو والجواد فحمل عليه اولئك الثلاثة واطلق احدهم الطبنجا فاصابته وطعنه الآخر في صدره فغودر عند ذلك قتيلا »(٢)

فان مثل هذا القول لا يبرره منطق ذلك بان حرب الهجوم والمباغتة كالحرب التي جرت في قرية يارون لا تفسح مجالا لمبارزة الافراد بالرماح ، ثم ان شيوع

---

١ ــ لاحظ ص ١٢٧ من تاريخ جبل عامل للاستاذ جابر •

٢ ــ لاحظ ص ١٥٦ من كتاب جبل عامل في التاريخ للعلامة الفقيه •

الاسلحة النارية في زمن ناصيف وخصوصا عند عساكر الدولة لا تبقي مجالا لاستعمال الرماح عند الشدة ، ثم ان قائدا كناصيف النصار محاط بالرجال والفرسان لا يتسنى لاخصامه ان ينفردوا به او يعزلوه اثناء المعركة او يتغلبوا عليه خلسة بمعزل عن رجاله كما تصوره رواية العلامة الفقيه •



## قصة انتقام الجزار من امير حاصبيا

عندما عللنا قول السبيتي « بان عسكر الجزار الذي مر بقرية يارون كان قاصدا حاصبيا » عللناه بما كان من نقمة الجزار على أمير حاصبيا لتخلفه عن نجدة عساكر الجزار والامير يوسف وامير راشيا في واقعة الظهر الاحمر ، ثم لميل امير حاصبيا الصريح نحو عدو الجزار الاكبر محمد باشا العظم والي دمشق الشام وتوسله به ليبقيه حاكما على حاصبيا وليمنع عنها عساكر الشام وعساكر دروز لبنان ، ثم لمساعي امير حاصبيا المتنوعة في التأليف بين مشايخ الشوف وامرائه الذين كان الجزار يكره اتحادهم وتآلفهم صونا لمخططاته السياسية ومساوماته النفعية •

لهذا توجه بنقمته الى الامير اسماعيل شهاب امير حاصبيا بعد ان استولى على بلاد المتاولة وقضى على نفوذ مشايخهم الذين اعترضوا طريق عسكره الى حاصبيا ، وذلك بأن عزل الامير اسماعيل عن مقاطعة مرجعيون لانها كانت تابعة لولاية صيدا ، ولم تكن كمقاطعة حاصبيا تابعة لولاية الشام ، وطلب الى الامير يوسف شهاب أمير الشوف ان يستولي عليها •

فلما انعم الجزار بها على الامير ارسل الشيخ بشير النكدي ومعه جملة رجال فاستولى عليها وضبط ما للامير اسماعيل هناك من محصولات فبلغت ما ينيف على خمسين الف غرش ، وكان حاكم حاصبيا يؤدي عنها في كل سنة ، ستة آلاف غرش وكان جل اعتماده في معيشته عليها بل كان اكثر نفقاته ونفقات خاصته من ريعها ، فتضايق الامير اسماعيل من جراء ذلك وسار الى دير القمر وارتمى على الامير يوسف وشكا له ما لقيه من المضايقة عند خروجها من يده

وعاهده على ان يدفع له خمسة وعشرين الف غرش اذ تركها وتوسط بينه وبين الجزار ، فابى وامتنع فكرر الاستغاثة به وتواضع له حتى قيل انه قبل قدميه فلم يزد الامير يوسف الا قسوة عليه وتمسكا بها .

ولما رأى الامير اسماعيل خيبة ظنه ورجاه عاد الى حاصبيا فاشار عليه الشيخ قاسم جنبلاط بان يدفع الى الجزار على ولاية البلاد ومرجعيون ثلاثماية الف غرش وهو يتعهد معه للجزار بذلك . فكتب الى الجزار بهذا الشأن فاجابه الى ذلك وطيب قلبه واستدعاه اليه واعدا اياه بالولاية بشرط ان يكون احد الامراء الشهابية شريكا له فيها — وذلك لايناس الاهالي به — فسر الامير اسماعيل، وكتب الشيخ قاسم الى الامير سيد احمد شهاب يشير عليه ان يكون متحدا مع الامير اسماعيل فاجابه مستنهضا همته فكتب الامير اسماعيل والشيخ قاسم الى الجزار يخبرانه بما كان وتعهد له الامير اسماعيل بمشاركة احد الشهابيين اللبنانيين حسب أمره وكفل له الشيخ قاسم ذلك المبلغ ، فابقى الجزار الرسل عنده في عكا وارسل الى الامير يوسف يخبره ويخيره ؟!

فجمع الامير يوسف مناصب البلاد فوافقوه على قبول الدفيعة الا الشيخ قاسم فانه أفسد رأيهم واقنع الامير يوسف بالقتال فاذعن الامير لرأيه وتهيأ للقتال وكتبت المناصب للجزار انهم لا يقبلون دفيعة على بلادهم .

فحنق الجزار وارسل يستدعي الامير اسماعيل من حاصبيا الى جبل الريحان فقدم برجاله ، فارسل له الوزير عسكرا من الارناؤوط الى قرية جباع الحلاوة ، فجمع الامير يوسف عسكرا وارسله الى جزين مع مدبره الشيخ سعد يقدمهم الامير فارس يونس ومعه امراء حاصبيا الامير اسعد واخوه الامير قاسم ابناء الامير سليمان اخي الامير اسماعيل ، فجرى بينهم وبين عساكر الجزار عدة مواقع كان النصر فيها لعسكر البلاد . ولما اجمع رأي عساكر البلاد ان يباغتوا الامير اسماعيل ( في جبل الريحان ) أخذ الشيخ قاسم يوهمهم ويثبطهم وارسل للامير اسماعيل سرا ان يقوم بعسكره حالا الى صيدا فنهض الامير اسماعيل الى صيدا ، واخذ عسكر البلاد ينهب ويحرق في بلاد الجزار .

واستدعى الامير يوسف متاولة جبل عامل من عكار واطلق لهم المخرقة

( الغارة ) في بلاد الجزار ولا سيما بلاد بشارة وامدهم بالاسلحة ( والخيل ) فشنوا الغارة على عامل تبنين وقتلوه وسلبوا ما وجدوه هناك .

لاحظ ص ٦٣ ـ ٦٤ من اخبار الاعيان ج٢ طبعة بيروت لسنة ١٩٥٤



## مقتل أمير حاصبيا وموته

ثم ظل الجزار يحاور الامير يوسف والامير اسماعيل ويداورهما خداعا ومكرا ـ الى ان تعهد له الامير يوسف بالف ألف غرش على ان يوليه جبل الشوف ومقاطعة حاصبيا فخلع عليه خلع الولاية واصحبه بالعساكر الكافية فسار بها الى دير القمر ، وباغت الامير اسماعيل وقبض عليه وزجه بالسجن الى ان مات (١) .

أما كيف مات فقد اختلفت اقوال الرواة في ذلك فمنهم من قال مات قهرا ، ومن قال مات خنقا ، ومنهم من قال ان الامير يوسف أمر بسمل عينيه ، ثم بخنقه بعد ذلك وكتم خبر موته ثلاثة اشهر خوفا من الجزار لانه كان قد اوصاه به او خوفا من الناس ان ينقموا عليه ؟ وممن ينص على انه سمل عينيه وخنقه وهو مؤلف تاريخ الجزار حيث يقول « وبهذا العهد ( ١٧٨٥ م ) فالامير يوسف بعد ضبط مال الامير اسماعيل حاكم حاصبيا أمر بقلع عينيه وبعد مدة قتله . وكذلك عمل في محمد القاضي ( قاضي الدروز ) الذي كان متفقا معه وزاد على تقليع عنيه بان قطع لسانه وبواهم يديه ثم قتله » (٢) .

للبحث صلة — علي الزين

---

١ ـ لاحظ ص ٦٣ ـ ٦٨ من اخبار الاعيان ج٢ طبعة بيروت سنة ١٩٥٤ ، ثم ص ١٢٥ ـ ١٤٠ من ( لبنان في عهد الامراء الشهابيين ) ج١ ، ثم ص ٨٤٣ ـ ٨٤٨ من نزهة الزمان ج٢ طبع مصر .

٢ ـ لاحظ ص ٤٠٣ من تاريخ الجزار طبعة سنة ١٩٥٥ ، ما يقوله الخوري حنانيا المنير الزوقي .